تهذيب

أهوال القبور

وأحوال أهلها إلى النشور

الحافظ

زين الدين عبد الرحمن بن رجب الحنبلي

تهذيب

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد



الطبعة الأولى

فى غرة شعبان سنة ١٤٠٦ هـ



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

الحمد لله الذى أسكن عباده هذه الدار، وجعلها لهم منزلة سفر من الأسفار، وجعل الدار الآخرة هى دار القرار، وجعل بين الدنيا والآخـرة برزخاً يدل على فناء الدنيا باعتبار، وهو فى الحقيقة إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار، فسبحان من يخلق ما يشاء ويختار، ويرفق بعباده الأبرار فى جميع الأقطار، وسبق رحمته بعباده غضبه، وهو الرحيم الغفار، أحمده على نعمه الغزار، وأشكره، وفضله على من شكر مدرار؟ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الواحد القهار، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله النبى المختار، الرسول المبعوث بالتيسير والإنذار ﷺ وعلى آله وصحبه صلاة تتجدد بركاتها بالعشى والإبكار.

لقد اهتم رسول الله ﷺ لأمر البعث والعقاب والثواب اهتماماً كبيراً في بداية الدعوة إلى الله فرغبهم فيما عند الله وحبب وزين لهم الآخـرة وما فيها من الأجر والثواب وإن فيها..

«ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»..

ورهبهم من مخالفة أمرهم فحذرهم ورغبهم من هول يوم القيامة وشدة عذاب النار وكذلك أول مراحلها وهى القبر وما فيه من نعيم لمن عرف حقوق الله عليه فأقامها وعاش بها ومات عليها.

والويل كل الويل فى القبر لمن خالف أمره ولم يتبع هديه وشريعته.

هكـذا كان هديه ﷺ في بداية دعوته ثم وضح وفصل لهم ذلك الأمر بعد أن رسخت العقيدة في القلوب.

فما أحوجنا الآن «فى عصر الماديات» لتوضيح ما يحدث في القبور وأحوال أهلها إلى النشور بعد أن قست القلوب وأصبحت أشد قسوة من الحجارة. لأن الحجارة كما قال تعالى عنها:

«وَانّ مِنَ الحِجَارَةِ لما يَتفجّرُ مِنْهُ الأنهَارُ وَانّ مِنْهَا لما يَشْقَقُ فَيخْرجُ مِنْهُ الماءُ»..

فأصبحت هذه القلوب لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكراً وأصبحت الماديات هى الآلهة لهم فبها يعيشون ومن أجلها يموتون. وأصبح ذكر النار عندهم لا يعنى شيئاً عكس الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين وسلف الأمة الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم أجمعين فقد كانت تتغير أحوالهم وألوانهم عند سماع كلمة «النار» ويمنعوا النوم: فقد كان عمر بن عبد العزيز ساكتاً وأصحابه يتحدثون، فقالوا مالك لا تتكلم يا أمير المؤمنين قال كنت مفكراً فى أهل الجنة كيف يتزاورون فيها، وفي أهل النار كيف يصطرخون فيها. ثم بكى – وروى أن أبا موسى الأشعرى خطب الناس بالبصرة، فذكر في خطبته النار فبكى حتى سقطت دموعه على المنبر – وبكى الناس يومئذ بكاء شديداً – وكان سعيد الجرمى يقول في وصف الخائفين: إذا مروا بآية من ذكر النار صرخوا منها فرقاً كأن زفير النار في آذانهم، وكأن الآخرة نصب أعينهم – ومما قال الفرزدق ينعي زوجته:

أخافُ وَرَاءَ القبْرِ إنْ لَمْ يُعَافِنِى .·. أشَد مِنَ القبْرِ التهَاباً وَأضيَقَا

إذَا جَاءَنِي يَوْمَ القِيَامَةِ قَائِدٌ .·. عَنِيفٌ وَسَوّاقٌ يَسُوقُ الفرزْدَقَا

لَقَد خَابَ مِنْ أولادِ آدم مَنْ مَشَى .·. إلى النَّارِ مَغْلولَ القِلَادَةِ أزْوقَا

يُسَاقُ إلى نَارِ الجَحِيمِ مُسرْبَلَا .·. سَرَابِيلَ قَطْرَانٍ لِبَاساً محرقاً

إذَا شَرِبُوا فِيهَا الصدِيدَ رَأيتَهُمْ .·. يَذُوبُونَ مِنَ الحر الصَّدِيدِ تَمَزُّقاً

وعن أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«والذى نفسى بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيراً»..

لهذا كان رسول الله ﷺ حريصاً على تذكيرنا بالمصير الأخير بل هى البداية لحياة دائمة ان شاء الله وذلك لكى لا نغفل ولا تغرنا الحياة الدنيا.

ولذلك تجد آيات الله في كتابه الكريم فيها من الترهيب «من النار ومن زمهريرها وشرابها وسلاسلها وأغلالها ولباس أهلها وأوديتها وأبوابها وخزنتها وسعتها وظلمتها» الشى الكثير حتي لا تكون لنا حجة يوم القيامة «ولقد أعذر من أنذر».

لأهمية هذا الأمر نجد سلفنا الصالح رضوان الله عليهم قد سجلوا لنا كتباً كثيرة منها المطول ومنها المختصر فعلى سبيل المثال:

الإمام القرطبى سجل لنا: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة.

والإمام ابن رجب الحنبلي سجل لنا: أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور.

والإمام ابن رجب الحنبلي أيضا سجل لنا: التخويف من النار والتعريف بدار أهل البوار.

والإمام المنذرى سجل لنا: الترغيب والترهيب.

والإمام ابن أبى الدنيا سجل لنا: كتبا كثيرة منها ما يسر الله لنا استكمال طبعها ومنها المحتضرين، وكتاب ذكر الموت، وكتاب من عاش بعد الموت الرقة والبكاء.

وكذلك سطر لنا علماؤنا المعاصرون كتباً فى هذا الأمر وما ذلك.. إلا لنتعظ ونعتبر ونعمل لما بعد الموت..

★ ★ ★ ★ ★

منهج العمل في هذا التهذيب :

قام الشيخ الفاضل ولا نزكى على الله أحداً [محمد الطيب بن يس الخراشى الحسيني] بتحقيق أصل الكتاب [أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور] طبعة السنة المحمدية فخرج أحاديث الكتاب وبين مواضعها من كتب السنة والمراجع قد ذكرناها فى آخر التهذيب ليسهل على الباحث الرجوع إليها، وبين درجتها من الصحة والضعف، ونقل أقوال الأئمة الحفاظ في الأحاديث وراجع متونها على الكتب فجزاه الله خيراً.

ولكن قد ذكر الحافظ ابن رجب رحمه الله في كتابه بعض قصص القصاصين وحفارى القبور وبعض الرؤى للتابعين وغيرهم فوجدنا أن هذه القصص وهذه الأخبار والرؤى لا يثبت بها دليل ولا نستطيع أن نجزم بصحتها أو عدمه فرأينا حذف هذه الأخبار، وأن نكتفى بذكر آيات كتاب الله وما صح من حديث رسول الله ﷺ فالحجة به قائمة. مستفيدين من تحقيق ومراجعة الشرح للأخ المكرم الشيخ [محمد الطيب بن يس الخراشى الحسيني] على نسخة مكتبة السنة المحمدية. مركزين فيه على الدواء لهذا الداء وهو قسوة القلب والبعد عن الله وعدم العمل لما بعد الموت ومحتفظين بنص كلام الحافظ ابن رجب.

المحقق

أبو حذيفة

إبراهيم بن محمد

ترجمة المؤلف

هو الإمام الحافظ عبد الرحمن أحمد بن رجب عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود السلامى البغدادى ثم الدمشقي الحنبلي ويكنى بأبي الفرج. ولد ببغداد في ربيع الأول سنة ست وسبعمائة هجرية ٧٠٦ هـ ثم رحل به أبوه إلى دمشق سنة ٧٤٤ هـ وتوفي رحمه الله سنة ٧٩٥ هـ بدمشق.

طلبه العلم:

اشتغل رحمه الله تعالى، بسماع الحديث باعتناء والده، وقرأ القرآن بالروايات وأكثر عن الشيوخ، وخرج لنفسه مشيخة مفيدة، وكانت له رحلات كثيرة في طلب العلم. واستفاضت له شهرة بالعلم والصلاح، فكان يوصف بأنه صاحب عبادة وتهجد، وكانت مجالس تذكيره للقلوب صارعة، وللناس عامة مباركة نافعة، اجتمعت الفرق عليه، ومالت القلوب بالمحبة إليه، وكانت له تصانيف جليلة منها:

المطبوعة: شرح علل الترمذى - ذيل طبقات الحنابلة - جامع العلوم والحكم - الاستخراج لأحكام الخراج - وظائف الإنسان - فضل علم السلف على الخلف - مختصر شعب الإيمان - نور الاقتباس - تحقيق كلمة الإخلاص - كشف الكربة - شرح حديث ما ذئبان - الفرق بين النصيحة والتعيير - التخويف من النار أما المخطوط فكثير انظر إذا أردت تفصيل ترجمته رحمه الله (*).

(*) ١ - إنباء الغمر بأبناء العمر، لابن حجر (٣/١٧٥) - ٢ - الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٢/٤٢٨) ٣ - الدارس في تاريخ المدارس للنعيمى (٢/٧٦) ٤ - طبقات الحفاظ للسيوطى ٥٢٦ - ٥ - شذرات الذهب لابن العماد (٦/٣٢٩).

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

باب

في ذكر حال الميت عند نزوله قبره وسؤال الملائكة له وما يفسح له في قبره أو يضيق عليه وما يرى من منزله في الجنة أو النار

قال تعالى :

«يُثَبِّتُ اللهُ الذِينَ آمَنوا بِالقَوْلِ الثَّابتِ في الحياةِ الدنْيَا وَفي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالمينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ»[١] ..

عن البراء بن عازب رضي الله عنهما قال[٢] : خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد[٣] بعد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأنما على رؤوسنا الطير وبيده عود ينكت[٤] به في الأرض فرفع رأسه فقال :

«تعوذوا بالله من عذاب القبر» ..

مرتين أو ثلاثا — ثم قال :

(١) سورة إبراهيم الآية : ٢٧ .

(٢) رأينا أن نجمع رواية البراء بن عازب رضي الله عنه فقد ذكرها الإمام ابن رجب مفرقة على حسب مواضيعها فرأينا ذكر الحديث كاملا لتكمل الفائدة وقد رواه الإمام أحمد فى مسنده ٤ / ٢٨٧ وأبو داوود فى سننه ٢ / ٥٤٠ والحاكم في المستدرك ١ / ٣٧ وقال : صحيح على شرط الشيخين وأقره الذهبى والألباني انظر أحكام الجنائز للالبانى ١٥٩ .

(٣) اللحد : هو الشق الذى يكون في قبلة القبر موضع الميت .

(٤) ينكت : أي يضرب بطرفه الأرض ضرباً يؤثر فيها .

«إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط[٥] من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ويجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج فتسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط ويخرج منه كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون على ملأ[٦] من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى في عليين[٧] وأعيدوه إلى الأرض في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام، فيقولان: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله، فيقولان: ما يدريك؟ فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقته، فينادى مناد من السماء: أن قد صدق عبدى فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال: ويأتيه رجل حسن الوجه، حسن الثياب، طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير؟ فيقول: أنا عملك الصالح، فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى.

---

(٥) الحنوط: طيب يخلط للميت خاصة تكون له رائحة طيبة.
(٦) ملأ: أى جماعة.
(٧) عليون: من العلو وقيل: هي السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين.

وان العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا واقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة سود الوجوه معهم المسوح(٨) فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت(٩) حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود(١٠) من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها ريح كأنتن جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا فيستفتح فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ «لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط» فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه في سجين(١١) في الأرض السفلى ثم تطرح روحه طرحاً ثم قرأ «ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق» فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى قال: فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى قال فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء: أن كذب فافرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذي يسوؤك هذا يومك الذى كنت توعد، فيقول: من أنت فوجهك الوجه القبيح يجيء بالشر؟ فيقول: أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تُقم الساعة»(١٢).

---

(٨) المسوح: جمع مسح وهو كساء من الشعر.

(٩) لم يأت في السنة الصحيحة أن اسم ملك الموت عزرائيل ولعله من الاسرائيليات.

(١٠) السفود: حديد ذات شعب معقفة.

(١١) سجين: أى في سجن وضيق.

(١٢) ومما يدل على ثبوت عذاب القبر قوله تعالى «حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون. لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» وقوله تعالى: «وحاق بآل فرعون سوء العذاب النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» وسوف يتعرض له المؤلف رحمه الله فى باب مستقل.

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا قُبر الميت أو قال: أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان(١٣) يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم يُنور له فيه، ثم يقال له: نَمْ فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله، لا أدرى فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمى عليه فتلتئم عليه فتختلف فيها اضلاعه(١٤) فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»(١٥)..

قال الإمام أحمد: أخبرنا يزيد بن هارون عن المسعودى عن العلاء بن الشخير حدثنا بعض حفدة أبي موسى الأشعرى أن أبا موسى الأشعرى أوصاهم قال:

إذا حفرتم فأعمقوا قعره أما إني والله لا أقول لكم ذلك وإني لأعلم إن كنت من أهل طاعة الله ليفسحن لى في قبرى ولينور لى فيه. ثم ليفتحن لى باب

=== وكقوله تعالى: «ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون» وكذلك تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ في ذلك انظر صفحة (٢٢).

(١٣) أى عينها لما لهذه الصفة من الهول على المقبور.

(١٤) أى يتداخل بعضها في بعض.

(١٥) رواه الإمام الترمذى وقال حسن غريب ٤ / ٢٩١ وابن حبان الحديث ٧٨ ص ١٩٧ وقال الشيخ الالبانى: سنده حسن وهو على شرط مسلم مشكاة المصابيح ١ / ٤٧.

مساكنى في الجنة فما أنا بمساكنى من دارى هذه بأعلم من مساكنى منها ثم ليأتينى من رَوْحها وريحها وريحانها: ولئن كنت من أهل المنزلة الأخرى ليضيقن على قبرى، وليهدمن على الأرض، وليفتحن الله إلى باب مساكنى من النار، فما أنا بمساكنى من دارى هذه بأعلم من مساكنى منها، ثم ليأتينى من شرها وشرورها، ودخانها(١٦).

وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن عمر بن ذر قال:

«إذا دخل الميت حفرته نادته الأرض أمطيع أم عاصٍ، فإن كان صالحاً ناداها مناديه ناحية القبر عودى عليه خضراء كونى عليه رحمة، فنعم العبد كان لله عز وجل، ونعم المورد إليك قال: فتقول الأرض الآن استحق الكرامة».

وبإسناده عن محمد بن السماك الواعظ قال: بلغنا أن الرجل إذا وضع في قبره فعذب أو أصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه من الموتى أيها المخلف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك فينا معتبر، أما كان لك في تقدمك إيانا فكرة، أما رأيت انقطاع أعمالنا عنا في المهلة، فهلا استدركت ما فات إخوانك قال: فتناديه بقاع القبر، أيها المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب عنك من أهلك فى بطن الأرض ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا تهادى به أحبته إلى المنزل الذى لابد منه.

★ ★ ★ ★ ★

---

(١٦) انظر أخا الاسلام إلى فهم صحابة رسول الله ﷺ من نظرتهم إلى الآخرة أثناء حياتهم ومن نظرتنا الآن إلى أول منزل من منازل الآخرة فنحن نبنى ونشيد القبور وكأنها دار المقام فلا حول ولا قوة إلا بالله.

اجتماع الموتى إلى الميت وسؤالهم اياه

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ في ذكر خروج الروح وقال في روح المؤمن:

فيأتون به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يَقْدُمُ عليهم فيسألونه ما فعل فلان؟ فيقولون: دعوه حتى يستريح فإنه كان في غم الدنيا فإذا قال أما أتاكم فلان؟ قالوا: ذهب به إلى أمه الهاوية(١٧)..

اجتماع أعمال الميت عليه من خير وشر ومدافعتها عنه، وكلامها له، وما ورد من تحسر الموتى على انقطاع أعمالهم، ومن أكرم منهم تبقي أعماله عليه

روى حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

والذي نفسي بيده إنه ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه، والزكاة عن يمينه والصوم عن شماله، وفعل الخيرات والمعروف والاحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه،

---

(١٧) رواه النسائي وصحح اسناده الحافظ العراقي وعند ابن حبان الحديث ٧٣ ص ١٨٧ (موارد الظمأن) وعنده نحوه من طريق آخر عن أبي هريرة الحديث ٧٣ ص ١٨٦ وقد روى في هذا الباب آثار كثيرة ولكن؟.

فتقول الصلاة ليس من قبلى مدخل ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة ليس من قبلى مدخل ، ثم يؤتى عن شماله فيقول الصوم ليس من قبلى مدخل ، ثم يؤتى من قبل رجليه ، فيقول : فعل الخيرات والاحسان إلى الناس ليس من قبلى مدخل ، فيقال له : اجلس ، فيجلس وقد مثلت الشمس للغروب فيقولون له : ما تقول في هذا الرجل الذى كان بعث فيكم ؟ يعنى النبى ﷺ فيقول أشهد أنه رسول الله ، جاءنا بالبينات من عند ربنا فصدقناه واتبعناه ، فيقال له : صدقت ، وعلى هذا حييت ، وعلى هذا مت ، وعليه تبعث إن شاء الله ، فيفسح له في قبره مد بصره . فذلك قوله سبحانه : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة » .. فيقال : افتحوا له بابا إلى النار فيقال : هذا منزلك لو عصيتَ الله فيزداد غبطة وسروراً ، ويقال : افتحوا له بابا إلى الجنة فيفتح له فيقال هذا منزلك وما أعد الله لك فيزداد غبطة وسروراً فيعاد الجسد إلى ما بدىء منه وتجعل روحه نسم طير معلق في شجر الجنة .

وأما الكافر فيؤتى فى قبره من قبل رأسه فلا يوجد يعنى شيئاً فيجلس خائفاً مرعوباً فيقال له : ما تقول فى هذا الرجل الذى كان فيكم وما تشهد به ؟ فلا يهتدى لاسمه فيقال : محمد رسول الله ﷺ فيقول : سمعتُ الناس يقولون شيئاً فقلت كما قالوا فيقال له : صدقت على هذا حييت ، وعليه مت ، وعليه تبعث إن شاء الله تعالى ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ، فذلك قوله تعالى « ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا » فيقال : افتحوا له بابا إلى الجنة فيفتح له باب إلى الجنة فيقال : هذا منزلك وما أعد الله لك لو كنت أطعته فيزداد حسرة وثبوراً ، ثم يقال : افتحوا له بابا إلى النار فيفتح له باب إليها فيقال له : هذا منزلك ، وما أعد الله لك فيزداد حسرة وثبوراً » .

قال أبو عمرو الضرير : قلت لحماد بن سلمة : كان هذا من أهل القبلة ؟ قال : نعم ، قال أبو عمرو : كأنه شهد بهذه الشهادة على غير يقين يرجع إلى قلبه كأن يسمع الناس يقولون شيئاً فيقول (١٨) .

---

(١٨) رواه الطبرانى في الاوسط وحسن اسناده في مجمع الزوائد . وقد رواه غير واحد عن محمد بن عمرو فعند الحاكم في المستدرك عن سعيد بن عامر عنه ١ / ٣٧٩ ثم رواه عن حماد وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبى ورواه ابن حبان : ٧٨١ ص ١٩٧ من طريق معتمر ابن سليمان عنه .

وعن يزيد الرقاش[١٩]: انه كان يقول فى كلامه: أيها المتفرد في حضرته المحلى في القبر بوحدته المتأنس فى بطن الأرض بأعماله ليت شعرى بأى أعمالك استبشرت، وبأى إخوانك اغتبطت، ثم يبكى حتى يبل عمامته ويقول: استبشر والله بأعماله الصالحة واغتبط بإخوانه المتعاونين على طاعة الله.

وبإسناده عن الوليد بن عمرو بن الصباح قال: بلغني أن أول شيء يجده الميت حوله عند رجليه فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عملك. وقد ورد فى شفاعة القرآن لقارئه ودفعه عنه عذاب القبر خصوصاً سورة «تبارك الذى بيده الملك».

فعن ابن مسعود قال: من قرأ «تبارك الذي بيده الملك» كل ليلة منعه الله بها من عذاب القبر وكنا في عهد رسول الله ﷺ نسميها المانعة وخرجه خلف في فضائل القرآن ولفظه عن ابن مسعود أنه ذكر تبارك فقال: هى المانعة تمنع من عذاب القبر؟ توفى رجل فأتى من قبل رجليه فتقول رجلاه لا سبيل لكم على ما قبلى إنه كان يقرأ سورة الملك، ويؤتى من قبل بطنه فيقول بطنه: لا سبيل لكم على ما قبلى إنه كان يقرأ سورة الملك[٢٠].

قال أحمد بن أبى الحوارى حدثنا يحيى بن مليح عن أبى نجيح عن مجاهد في قوله تعالى:

«**فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**»..

قال: في القبر، قال أحمد: فحدثت به يحيى بن معين، فقال: طوبى لمن كان له عمل صالح يكون وطاءه في قبره، ويشهد لهذا كله ما فى الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال:

---

(١٩) كان قاصاً ولكنهم تكلموا فيه من جهة الحديث.

(٢٠) ونحو ذلك روى الحاكم فى المستدرك ٤ /٤٩٨ وصححه ووافقه الذهبى، وذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله فى التفسير أن البيهقى روى عن ابن مسعود موقوفاً ومرفوعاً فى الباب فى كتاب اثبات عذاب القبر.

«يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله ويبقى عمله»[٢١]..

ومما كتبه محمد بن يوسف الأصبهانى إلى أخيه، إنى محذرك متحولك من دار مملكتك إلى دار اقامتك وجزاء أعمالك فتصير فى قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فيأتيك منكر ونكير فيقعدانك وينهرانك فإن يكن الله معك فلا بأس عليك ولا وحشة ولا فاقة وإن يكن غير ذلك فأعاذنى الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع. وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

«إذا مات الانسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من علم نافع، أو صدقة جارية أو ولد صالح يدعو له»[٢٢]..

ومن حديث أبي هريرة عن النبى ﷺ قال:

«لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به ولا يدع به قبل أن يأتيه، أنه إذا مات أحدكم انقطع عمله وأنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيراً»[٢٣]..

وعن الحسن قال: دخلت أنا وصفوان المقابر فقنع رأسه ثم لم يزل يذكر الله تعالى حتى خرجنا من المقابر فقلت له في ذلك فقال إنى قد ذكرتهم، وما حضر عليهم من ذلك ونحن فى المهلة (أى على ظهر الدنيا) فأحببت أن أقدم لذلك شيئاً من عمل قال الحسن: أحب والله أن يكون لى فى كل خير نصيب.

---

(٢١) صحيح البخارى (١٣٤٨) كتاب الدعوات ومسلم ٢٩٦٠ (٢٢٩٣/٤) كتاب الزهد والرقائق.

(٢٢) رواه الإمام مسلم والبخارى فى الادب المفرد وأبو داود والنسائى.

(٢٣) رواه الإمام أحمد ومسلم والبخارى والنسائى وعن أنس وفيه الدعاء «اللهم أحينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفنى ما كانت الوفاة خيراً لى» رواه أحمد والبخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

ومما قاله الفضل الرقاش: كان يقول فى كلامه إذا ذكر أهل القبور: يا لها من وجوه حيل بينها وبين السجود لله عز وجل لو يجدون إلى العمل مخلصاً بعد المعرفة بحسن الثواب لكانوا إلى ذلك سراعاً. ثم يبكى ويقول يا إخوتاه فأنتم اليوم قد خلى بينكم وبين ما عليه ترجون إليه فكاك رقابكم ألا فبادروا الموت وانقطاع أعمالكم فإن أحدكم لا يدرى متى يخترمه ليلا أو نهاراً. وكان داوود الطائى (٢٤) مع جنازة فقال في كلامه: اعلم أن أهل الدنيا جميعاً من أهل القبور إنما يفرحون بما يقدمون ويندمون على ما يخلفون، فما عليه أهل القبور ندموا عليه، وأهل الدنيا يقتتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يتخاصمون.

* * * * *

(٢٤) من علماء الكوفة وإمامها توفى سنة ١٦٢ هـ.

عرض منازل أهل القبور
عليهم من الجنة أو النار بكرة وعشية

قال تعالى :

«النارُ يُعرضُونَ عَلَيْهَا غُدواً وَعَشياً وَيَوْمَ تَقومُ السَّاعةُ أدخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أشَدَّ العَذَابِ»(٢٥) ..

قال قتادة فى هذه الآية يقال لهم : يا آل فرعون هذه منازلكم توبيخا وصغاراً ونقيصة ، وقال ابن سيرين : كان أبو هريرة يأتينا بعد صلاة العصر فيقول : عرجت ملائكة ، وهبطت ملائكة ، وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار . وقال شعبة عن معلى بن عطاء سمعت ميمون بن ميسرة يقول : كان أبو هريرة إذا أصبح ينادى : أصبحنا والحمد لله وعرض آل فرعون على النار فلا يسمعه أحد إلا يتعوذ بالله من النار . ومن حديث ابن عمر عن النبى ﷺ :

«إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشى إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار ، حتى يبعثه الله يقال : هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»(٢٦) ..

وعن الفضيل بن غزوان عن نافع عن ابن عمر عن النبى ﷺ ولفظه :

«ما من عبد يموت إلا عُرِضَ عليه مقعده إن كان من أهل الجنة وإن كان من أهل النار»(٢٧) ..

---

(٢٥) سورة غافر الآية : ٤٦ وأثر قتادة رواه الطبرى فى التفسير ، وفيه نقمة بدلا من نقيصة .

(٢٦) الصحيحين من حديث ابن عمر .

(٢٧) رواه مالك فى الموطأ ١ / ٢٣٩ وأحمد فى المسند ٢ / ١١٣ ورواه الإمام البخارى ٢ / ١٤٢ ومسلم ٤ / ٢١٩٩ عن طريق مالك .

ذكـر عـذاب القبـر ونعيمـه

قال تعالى :

« فَلَوْلَا اذَا بَلَغتِ الحُلْقُومَ. وَأَنتُمْ حِينئِذٍ تَنظُرونَ. وَنَحْنُ أَقرَبُ إليه منكُمْ وَلَكنْ لَا تُبصرُونَ. فَلَوْلا انْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينين. تَرْجعُونَهَا ان كُنتُمْ صَادِقِينَ. فَأَمّا إنْ كَانَ مِنَ المقرَّبينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وجنةُ نَعِيمٍ. وَأَمّا إنْ كَانَ مِنْ أصحْابِ اليمينِ. فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أصحابِ اليمينِ وَأَمّا إنْ كَانَ مِنَ المكذِّبينَ الضَّالينَ. فَنُزلٌ مِنْ حَمِيمٍ. وَتصْلِيةُ جَحِيمٍ. انّ هَذَا لهُوَ حَقُّ اليَقِينِ » (٢٨) ..

عن عُبادة بن الصامت عن النبى ﷺ قال :

« من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه » ..

فقالت عائشة أو بعض أزواجه : إنا نكره الموت قال :

« ليس ذلك ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شىء أحب إليه مما أمامه فأحب لقاء الله فأحب الله لقاءه ، وان الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شىء أكره إليه مما أمامه فكره لقاء الله فكره الله لقاءه » (٢٩) ..

وكذلك ينظر حديث البراء بن عازب فى أول الكتاب صفحة (٩) .

وقد دل القرآن على عذاب القبر في مواضع كقوله تعالى :

« وَلَوْ تَرَى إذِ الظَّالمونَ فى غَمَرَاتِ المَوْتِ وَالمَلائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِم أَخْرجُوا أَنفُسَكُمْ اليَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الهُونِ بمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى الله غَيْرَ الحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتكبِرُونَ » (٣٠) ..

وروى شريك عن ابن إسحاق عن البراء فى قوله تعالى :

« وَانَّ للذِينَ ظَلَموا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ » (٣١) ..

---

(٢٨) سورة الواقعة الآيات : ٨٣ – ٩٥ .

(٢٩) رواه الإمام أحمد ومسلم والنسائى وقد روى هذا المعنى عن النبى ﷺ من وجوه متعددة فقد رواه مالك فى الموطأ من حديث أبى هريرة ١ / ٢٤٠ والبخارى من طريق مالك ٩ / ١٧٧ ورواه مسلم من حديث أبى موسى الحديث ٢٦٨٦ .

(٣٠) سورة الأنعام الآية : ٩٣ (٣١) سورة الطور الآية : ٤٧ .

قال: عذاب القبر، وكذا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى:

«**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الاكْبَرِ**»(٣٢)..

إنه عذاب القبر وكذا قال قتادة والربيع بن أنس فى قوله تعالى:

«**سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ**»(٣٣)..

أحدهما فى الدنيا والأخرى هى عذاب القبر.

وقد تواترت الأحاديث عن النبى ﷺ فى عذاب القبر والتعوذ منه، وفى الصحيحين عن مسروق عن عائشة أنها سألت النبى ﷺ عن عذاب القبر قال:

«**نعم عذاب القبر حق**»..

قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعد ذلك صلى صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر(٣٤)..

وفيهما عن عمدة عن عائشة أن النبى ﷺ قال:

«**إنى رأيتكم تُفتنون فى القبور كفتنة الدجال**»..

قالت عائشة فكنت أسمع رسول الله ﷺ بعد ذلك يتعوذ من عذاب القبر(٣٥) وعن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن:

---

(٣٢) سورة السجدة الآية: ٢١.

(٣٣) سورة التوبة الآية: ١٠١.

(٣٤) من طريق مسروق. رواه البخارى ٢/١٢٣ ومسلم رقم ٥٨٦ (١/٤١١) وليس فيه لفظ نعم بل فيه: صدقتا عن اليهوديتين اللتين أخبرتا أم المؤمنين، ورواه النسائى: (٤/٨٥، ٨٦).

(٣٥) عن طريق عمدة رواه البخارى ٢/٤٥ ومسلم الحديث ٩٣: (٢/٦٢١) ضمن حديث طويل.

«اللهم انى أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» (٣٦) ..

وعن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال:

«اذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال» (٣٧) ..

وفى صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال:

«بينما النبى ﷺ فى حائط بنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة فقال «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا، قال: متى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا فى الاشراك فقال: «إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه» ..

ثم أقبل علينا بوجهه فقال:

«تعوذوا بالله من عذاب النار» ..

قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار قال:

«تعوذوا بالله من عذاب القبر» ..

قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر قال:

«تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن» ..

قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال:

تعوذوا بالله من فتنة الدجال» ..

قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال» (٣٨)

---

(٣٦) رواه الإمام مسلم ٥٩٠: (١/٤١٣) وسنن النسائى (٤/٨٥) وسنن ابن ماجه ٣٨٤٠ (٢/١٢٦٢).

(٣٧) رواه الإمام مسلم: ٥٨٨ (١/٤١٢) والإمام أحمد برقم: ٧٢٣٦ وأبو داود ٩٨٣ وابن ماجه: ٩٠٩ (١/٢٩٤) والنسائى (١/١٩٣).

(٣٨) رواه الإمام مسلم: ٢٨٦٧: (٤/٢١٩٩، ٢٢٠٠).

وعن أنس عن النبى ﷺ قال:

«لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر»(٣٩)..

وعن أبى أيوب الأنصارى قال: خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً فقال:

«يهود تعذب في قبورها»..

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ مر بقبرين فقال:

«انهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير أما أحدهما فكان لا يستبرىء من البول وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة»(٤٠)..

ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين، ثم غرز على كل قبر منهما واحدة، قالوا: لم فعلت هذا يا رسول الله قال:

«لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»(٤١)..

وقد روى هذا الحديث من وجوه متعددة. وقد ثبت عن رسول الله ﷺ أن مما يعذب عليه الإنسان فى قبره من أجل:

«الغيبة والنميمة، وعدم التنزه من البول»..

وقد ذكر بعض العلماء:

السر فى تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل الآخرة. وفيه أنموذج ما يقع فى يوم القيامة من العقاب والثواب والمعاصى التى يعاقب عليها يوم القيامة نوعان حق لله وحق لعباده وأول ما يقضى فيه يوم

---

(٣٩) رواه الامام مسلم: ٢٨٦٨: (٤/ ٢٢٠٠) وزاد فى الفتح الكبير (٣/ ٥٢) نسبته لأحمد والنسائى وزاد فى الكنز الثمين نسبته لأبى داود ص ٤٨٣ الحديث: ٣١١٦.

(٤٠) رواه الإمام البخارى ٢/ ١٣٢، ١٣٤ والإمام مسلم ٢٨٦٩: (٤/ ٢٢٠٠) راويه عن أبى أيوب هو البراء بن عازب رضى الله عنه.

(٤١) رواه البخارى ١/ ١٢٤ والإمام مسلم رقم: ١٩٨٠، ١٩٨١ والترمذى مختصراً (١/ ٧٤، ٧٥) والنسائى (١/ ٤٢٩) و (٨٧) وأبو داود الحديث (٢٠) وابن ماجه مختصراً الحديث ٣٤٧: (١/ ١٢٥) وزاد المنذرى نسبته لابن خزيمه فى صحيحه [ووضع هذا الجريد على القبر كان خاصاً برسول الله ﷺ ولكن فى هذا الزمن ابتدع الناس كثيراً من البدع وليست من الصواب فمنها زيارة القبور فى أيام ومواسم معينة ووضع عليها باقة من الزهور. وكان الأجدر بهم اقتفاء أثر رسول الله فى الذهاب إلى المقابر للعظة والاعتبار والدعاء لهم بخير]، هدانا الله وإياهم طريق الله المستقيم.

القيامة من حقوق الله الصلاة ومن حقوق العباد الدماء، وأما البرزخ فيقضى فيه فى مقدمات هذين الحقين ووسائلهما. فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء النميمة والوقيعة فى الأعراض وهما أيسر أنواع الأذى فيبدأ فى البرزخ بالمحاسبة والعقاب عليهما.

ومما ذكر فيما ينجى من عذاب القبر:

الطهارة من الحدث، الجهاد والرباط والشهيد. فعن المقدام بن معديكرب عن النبى ﷺ قال:

«للشهيد عند الله ست خصال، يغفر له فى أول دفعة ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر»(٤٢)..

وعن سلمان الفارسى عن النبى ﷺ قال:

«رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات أجرى عليه عمله الذى كان يعمله وأجرى عليه رزقه وأمن الفتان»(٤٣)..

وخرج الترمذى وأبو داود من حديث فضالة بن عبيد عن النبى ﷺ معناه أيضاً(٤٤) وروى من وجوه أخرى.

فصل

أنواع عذاب القبر

وقد ورد فى عذاب القبر أنواع، منها الضرب إما بمطراق من حديد أو غيره أو دابة عمياء، أو تسليط الحيات والعقارب والتنين، الضرب بالصخرة العظيمة وشق الحلق بالكلوب وتضييق القبر وغير ذلك مما ثبت عنه ﷺ فى عذاب القبر ونذكر منه على وجه الاختصار حديث سمرة بن جندب.

---

(٤٢) رواه الإمام الترمذى والحديث فى الكنز الثمين بلفظ (سبع خصال) وزاد نسبته لابن ماجه وهو برقم: ٢٧١٩: (٢/٩٣٦).

(٤٣) رواه الإمام مسلم: ١٩٣١ (٣/١٥٢٠) والنسائى ٣/٦٩.

(٤٤) ولفظه (كل ميت يختم على عمله إلا الذى مات مرابطاً فى سبيل الله فإنه ينمى عمله إلى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر) وقال الترمذى. حسن صحيح ٥/٢٤٩، ٢٥٠ بتحفة الأحوذى وسنن أبى داوود ١/٣٩١ والإمام أحمد ٦/٢٠ وابن حبان ١٦٢٤ ص ٣٩١ (موارد الظمآن) وفيه زيادة المجاهد من جاهد نفسه لله جل وعلا.

وعن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «هل رأى أحد منكم من رؤيا»؟ فيقص عليه من شاء الله أن يقص وإنه قال لنا ذات غداة: «إنه أتانى آتيان، وإنهما ابتعثانى. وإنهما قالا لى: انطلق وإنى انطلقت معهما، وإنا أتينا على رجل مضطجع، وإذا آخر قائم عليه بصخرة وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغ(٤٥) رأسه، فيتدهده(٤٦) الحجر ها هنا فيتبع الحجر فيأخذه، فلا يرجع إليه حتى يصح رأسه كما كان، ثم يعود عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى، قال: قلت لهما: سبحان الله ما هذان؟ قال: قالا لى: انطلق قال: فانطلقنا فأتينا على رجل مستلق لقفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب(٤٧) من حديد، وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشر(٤٨) شدقه إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، قال: وربما قال أبو رجاء: فيشق، قال: ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغ من ذلك الجانب حتى يصبح ذلك الجانب كما كان، ثم يعود عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى. قال: قلت: سبحان الله ما هذان؟ قال: قالا لى: انطلق، فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسب أنه كان يقول: فإذا فيه لغط(٤٩) وأصوات قال: فاطلعنا فيه، فإذا فيه رجال ونساء عراة وإذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا(٥٠)، قال: قلت لهما: ما هؤلاء؟ قال: قالا لى: انطلق انطلق، قال: فانطلقنا فأتينا على نهر حسبت أنه كان يقول: أحمر مثل الدم، وإذا فى النهر رجل سابح يسبح، وإذا على شط النهر رجل قد جمع عنده حجارة كثيرة وإذا ذلك السابح يسبح، ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عنده الحجارة فيفغر له فاه(٥١)، فيلقمه حجراً، فيطلق يسبح، ثم يرجع إليه كلما رجع إليه فغرفاه فألقمه حجراً. قال: قلت لهما: ما هذان؟ قال:

---

(٤٥) أى يشدخ (٤٦) أى يتدحرج (٤٧) الكلوب: حديدة معوجة الرأس.
(٤٨) أى يشق (٤٩) أى صخب (٥٠) أى صاحوا فزعين.
(٥١) أى يفتح فمه.

قالا لي: انطلق انطلق، فانطلقنا فأتينا على رجل كريه المرآة كأكره ما أنت راء رجلا مرآة، وإذا عنده نار يحشها(٥٢) ويسعى حولها، قال: قلت لهما. ما هذا؟ قال: قالا لى: انطلق انطلق. فانطلقنا فأتينا على روضة معتمة(٥٣) فيها من كل نور(٥٤) الربيع، وإذا بين ظهرى الروضة رجل طويل لا أكاد أرى رأسه طولا في السماء، وإذا حول الرجل من أكثر ولدان رأيتهم قط قال: قلت لهما: ما هذا؟ ما هؤلاء؟ قال: قالا لى: انطلق انطلق قال: فانطلقنا فانتهينا: إلى روضة عظيمة لم أر روضة قط أعظم منها ولا أحسن، قال: قالا لى: ارق، فارتقيت فيها قال: فارتقينا فيها فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فأتينا باب المدينة فاستفتحنا ففتح لنا، فدخلناها فتلقانا فيها رجال شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قال: قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، قال: وإذا نهر معترض يجرى كأن ماءه المحض(٥٥) في البياض، فذهبوا فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم، فصاروا فى أحسن صورة، قال: قالا لى: هذه جنة عدن وهذاك منزلك، قال: فسما بصرى صعدا، فإذا قصر مثل الربابة(٥٦) البيضاء قال: قالا لى: هذاك منزلك قال: قلت لهما: بارك الله فيكما ذرانى فأدخله قالا: أما الآن فلا، وأنت داخله، قال: قلت لهما: فإنى قد رأيت منذ الليلة عجباً فما هذا الذى رأيت؟ قال: قالا لى إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذى أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة المكتوبة، وأما الرجل الذى أتيت عليه يشرشر شدقه إلى قفاه، ومنخره وعينه إلى قفاه فإنه الرجل يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور فهم الزناة والزوانى، وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا وأما الرجل الكريه المرآة الذى عند النار يحشها

---

(٥٢) أى يوقدها (٥٣) أى طويلة النبات (٥٤) أى زهر

(٥٥) أى الخالص (٥٦) الربابة: أى السحابة البيضاء.

ويسعى حولها فإنه مالك خازن جهنم، وأما الرجل الطويل الذى فى الروضة فإنه ابراهيم ﷺ وأما الولدان الذين حوله فكل مولود مات على الفطرة» قال: فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، وأولاد المشركين؟ فقال رسول الله ﷺ: «وأولاد المشركين، وأما القوم الذين كانوا شطر منهم حسناً وشطر قبيحاً، فإنهم قوم خلطوا عملا صالحاً وآخر سيئاً تجاوز الله عنهم» رواه البخارى(٥٧) ووقع التصريح بعذاب البرزخ فى رواية أخرى عند البخارى قال: «أما الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة، والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة..»(٥٨).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بى ربى عز وجل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون فى أعراضهم» (٥٩).

وقد ورد ما يدل على أن التضييق في القبر عام للمؤمن والكافر، وصرح بذلك طائفة من العلماء منهم ابن بطة وغيره فروى عن عائشة عن النبى ﷺ قال:

«إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا منها سعد بن معاذ»(٦٠).

وخرّج النسائى من حديث نافع عن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال:

«هذا الذى تحرك له العرش»..

«أى سعد بن معاذ»..

---

(٥٧) الفتح: ١٦/ ٩٩ (٥٨) الفتح: ٣/ ٤٩٥.

(٥٩) رواه الإمام أحمد فى مسنده ٣/ ٢٢٤ وصححه الألبانى صحيح الجامع الصغير ٥/ ٥١.

(٦٠) قالَ الحافظ العراقي إسناده جيد. وقال الهيثمى: رجاله رجال الصحيح.

«وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفاً من الملائكة لقد ضُمَّ ضمة ثم فُرِّجَ عنه» (٦١) ..

فصــل

في نعيم القــبر (٦٢)

وأما نعيم القبر فقد دل عليه قوله تعالى:

«فَأَمَّا انْ كَانَ مِنَ المقربينَ. فَروْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» ..

وقد تقدم في بعض حديث البراء بن عازب ص ٩ جانب من هذا النعيم.

فيما ورد من سماع الموتى كلام الأحياء ومعرفتهم بمن يسلم عليهم ويزورهم، ومعرفتهم بحالهم بعد الموت، وحال أقاربهم في الدنيا

عن أنس عن أبي طلحة قال: لما كان يوم بدر وظهر عليهم نبي الله ﷺ أمر ببضعة وعشرين – وفي رواية أربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فألقوا فى طوى من أطواء بدر فقام رسول الله ﷺ قال:

---

(٦١) أى كضمة الأم الحنون، ورجال الحديث ثقات محتج بهم في الصحيح. قاله المدارسى سنن النسائى ٤ /٨٢.

(٦٢) من أقوال السلف رضوان الله عليهم في صفة القبر:

قال شيخ الاسلام ابن تيمية: مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب وأن ذلك يحصل لروحه ولبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة انظر بالتفصيل مجموع الفتاوى ٤ / ٢٨٤.

وقال الإمام النووى: اعلم أن مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة، وانظر كتاب «الاسلام يتحدى» لوحيد الدين خان.

«يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقاً؟ فإني وجدت ما وعد ربى حقاً».

فقال عمر: يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال:

«والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم»[٦٣]..

وفى صحيح مسلم من حديث أنس نحوه من غير ذكر أبى طلحة. وفى حديثه قال:

«والذى نفسى بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا» [٦٤]..

وفيه أيضاً عن أنس، عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ هذه القصة بمعناها [٦٥].

وعن ابن عمر قال:

«اطلع النبى ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعد ربكم حقاً ؟»..

قيل له: أتدعو أمواتاً؟ قال:

«ما أنتم بأسمع منهم ولكن لا يجيبون»..

وفي رواية قال:

«إنهم الآن يسمعون ما أقول»[٦٦]..

وقد أنكرت عائشة ذلك كما في الصحيحين عن عروة عن عائشة أنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«إنهم ليسمعون الآن ما أقول»..

---

(٦٣) رواه الإمام البخارى ٥/٩٧ ومسلم الحديث: ٢٨٧٥. (٤/٢٢٠٢).

(٦٤) صحيح الإمام مسلم الحديث: ٢٨٧٤: (٤/٢٢٠٢).

(٦٥) صحيح الإمام مسلم الحديث: ٢٨٧٣: (٤/٢٢٠٢).

(٦٦) صحيح الإمام البخارى ٥/٩٨ ومسلم الحديث: ١٩٣٢ (٢/٦٤٣) وفيه رد أم المؤمنين.

«وقد وهم» يعنى ابن عمر – قال:

انهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم أنه حق ثم قرأت قوله تعالى:

«انكَ لَا تُسْمِعُ الموتَىٰ»(٦٧)..

«وَمَا انْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ»(٦٨)..

وقد وافق عائشة على نفى سماع الموتى كلام الأحياء طائفة من العلماء ورجحه القاضى أبو يعلى واجتمعوا بما احتجت به عائشة رضى الله عنها، وبأنه يجوز أن يكون ذلك معجزة مختصة بالنبى ﷺ دون غيره، وهو سماع الموتى كلامه وفى صحيح البخارى قال قتادة: أحياهم الله تعالى [يعنى أهل القليب] حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندماً(٦٩).

وقد ذهب طوائف من أهل العلم لإثبات السماع وهم الأكثرون وهو اختيار الطبرى وهم يحتجون بحديث القليب، وان ابن عمر وأبا طلحة وغيرهما ممن قد شهد القصة حكياه عن النبى ﷺ، وعائشة لم تشهد ذلك وروايتها عن النبى ﷺ أنه قال:

«انهم ليعلمون الآن ما كنت أقول لهم حق»..

يؤيد رواية من روى: إنهم ليسمعون، ولا ينافيه، فإن الميت إذا جاز أن يعلم جاز أن يسمع، وقد ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال:

«إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قَرْعَ نعالهم» وقد سبق ذكره.

* * *

---

(٦٧) سورة النمل الآية: ٨٠.

(٦٨) سورة فاطر الآية: ٢٢ والحديث رواه الامام البخارى ٥/٩٨ ومسلم ١٩٣٢ [٢/٦٤٢].

(٦٩) صحيح البخارى ٥/٥٧ وقد تقدم.وما بين المعكوفين لزيادة الايضاح.

رد شبه عدم سماع الموتى

أما قوله تعالى:

«انك لَا تُسْمِعُ الموْتَى»[70]..

وقوله تعالى:

«وَمَا أنتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ في القُبُورِ»[71]..

فإن السماع يطلق ويراد به إدراك الكلام وفهمه، ويراد به أيضاً الانتفاع به والاستجابة له. والمراد بهذه الآيات نفى الثانى دون الأول، فإنهما فى سياق خطاب الكفار الذين لا يستجيبون للهدى ولا للإيمان إذا دعوا إليه كما قال تعالى:

«وَلَقَدْ ذَرَانَا لجهنمَ كَثيراً من الجنِّ والَانس لَهُمْ قُلوبٌ لَا يفقهونَ بِهَا وَلَهُمْ أعينٌ لَا يُبصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا»[72]..

فنفى سبحانه السماع والأبصار عنهم لأن الشيء قد ينفى لانتفاء فائدته وثمرته فإذا لم ينتفع المرء بما يسمعه ويبصره فكأنه لم يسمع ولم يبصر، وسماع الموتى هو بهذه المثابة، وكذلك سماع الكفار لمن دعاهم إلى الإيمان والهدى. وقول قتادة فى أهل القليب: أحياهم الله حتى أسمعهم، يدل على أن الميت لا يسمع القول إلا بعد إعادة الروح إلى جسده: وبذلك قال طوائف كثيرة من السلف لأنه لا يسأل فى قبره إلا بعد اعادة الروح إلى جسده، كما جاء ذلك مصرحاً به فى حديث البراء بن عازب المتقدم ص ٩ وفيه:

«وتعاد الروح في جسده»..

أما ارتباط الروح بالجسد بعد الموت:

فإن حياة الروح ليست حياة تامة مستقلة كحياة الدنيا وكالحياة الآخرة

---

(٧٠) سورة النمل الآية: ٨٠ (٧١) سورة فاطر الآية: ٢٢ (٧٢) سورة الأعراف الآية: ١٧٩

بعد البعث، وإنما فيها نوع اتصال الروح فى البدن بحيث يحصل بذلك شعور البدن وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما وليس هو حياة تامة حتى يكون انفصال الروح يعد موتاً تاماً وإنما هو شبيه بانفصال روح النائم عنه ورجوعها إليه فإن ذلك يسمى موتاً وحياة كما كان يقول رسول الله ﷺ إذا استيقظ:

« **الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا، وإليه النشور** »[٧٣]..

وقد سماه الله تعالى وفاة لقوله تعالى:

« **اللَّهُ يتوفي الأنفُسَ حينَ مَوْتِهَا والتي لَمْ تَمُتْ فى مَنَامِهَا فَيُمْسِكَ التي قَضَى عَلَيهَا المَوْتَ وَيُرسِلَ الأُخْرَى** »[٧٤]..

ومع ذلك فلا ينافى أن يكون النائم حياً، وكذلك اتصال روح الميت ببدنه وانفصالها عنه لا توجب أن يصير حياً حياة مطلقة، وممن رجح [السؤال والنعيم والعذاب للروح في القبر] ابن عقيل[٧٥] وأبو الفرج بن الجوزى. ويدل على ذلك ما أخبر الله من شهادة الجلود والأعضاء يوم القيامة[٧٦]. وما روى عن ابن عباس في اختصام الروح والجسد يوم القيامة فإنه يدل على أن الجسد يخاصم الروح ويكلمها وتكلمه، ومما يدل على وقوع العذاب على الأجساد الأحاديث الكثيرة في تضييق القبر على الميت حتى تختلف اضلاعه، ولأنه لو كان العذاب على الروح خاصة لم يختص العذاب بالقبر ولم ينسب إليه. وقد ثبت أن عمرو بن العاص لما حضره الموت قال في وصيته: إذا دفنتمونى فسنوا على التراب سناً ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم، وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى[٧٧].

---

(٧٣) صحيح البخارى ٨/٨٨ من طريق حذيفة وأبى ذر ورواه مسلم ٢٧١١ (٤/٢٠٨٣) عن البراء.

(٧٤) سورة الزمر الآية: ٤٢.

(٧٥) أبو الوفاء على بن عقيل بن محمد البغدادى انتهت إليه الرئاسة فى علوم شتى توفى سنة ٥١٣ (انظر المطلع لابن أبى الفتح البعلى الحنبلى).

(٧٦) قال تعالى [حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون] سورة فصلت: ٢٠.

(٧٧) صحيح مسلم الحديث ١٢١ = (١/١٢٠).

عن أبي سعيد الخدرى عن النبي ﷺ قال:

«إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم، فإن كانت صالحة قالت: قدموني وإن كانت غير صالحة قالت لأهلها: يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء إلا الانسان ولو سمع الإنسان لصعق» (٧٨) ..

وفي هذا نفى للاجابة المعهودة التي يسمعها الأحياء لعدم تأهيلهم لسماع مثل هذه الأصوات.

* * *

ذكر محل أرواح الموتى فى البرزخ

أما الأنبياء عليهم السلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله فى أعلى عليين، وقد ثبت في الصحيح أن آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ عند موته:

«اللهم الرفيق الأعلى» ..

وكررها حتى قبض (٧٩).

أما الشهداء: فعن مسروق قال: سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية:

«وَلَا تَحْسَبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا في سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبهِم يُرزَقُونَ» (٨٠) ..

قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال:

«أرواحهم فى جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تأوى إلى تلك القناديل فاطلع إليهم ربهم اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أى شيء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل

---

(٧٨) صحيح الإمام البخارى ٢/١٠٨ وزاد في الفتح الكبير نسبته لأحمد والنسائى.

(٧٩) صحيح الإمام البخاري: ٦/١٨ (٨٠) سورة آل عمران الآية: ١٦٩.

ذلك بهم ثلاث مرات فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا»(٨١)..

وعن جابر قال: قال رجل يوم أحد: أين أنا إن قتلت يا رسول الله؟ قال: «**فى الجنة» فألقى تمرات كن في يده ثم قاتل حتى قتل**(٨٢)..

وقد يطلق الشهيد على من حقق الإيمان وشهد بصحته بقوله تعالى:

«**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِه أُولَئكَ هُمُ الصِّدِيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ**»(٨٣)..

وقد ذكرت الآيات تحدد مكان الروح ففى قوله تعالى:

«**انّ كِتَابَ الأبرَارِ لَفِى عِلِّيين. وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ. كِتَابٌ مَرْقُوم**»(٨٤)..

وقوله تعالى:

«**انّ كِتَابَ الفُجَّار لَفِى سِجِّينٍ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّين**»(٨٥).

وقوله تعالى:

«**يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المطمَئِنةُ ارْجِعِى إلى رَبِّكِ رَاضِيةً مَرْضِيَّةً**»(٨٦)..

وخرج ابن أبى الدنيا من حديث قسامة بن زهير عن أبى هريرة عن النبى ﷺ:

«**إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك وضبائر الريحان فتسل روحه كما تسل الشعرة من العجين وتقول: أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية مرضياً عنك إلى رضوان الله وكرامته، فإذا خرجت روحه وضعت على ذلك المسك، وطويت عليها الحريرة، وبعث بها إلى عليين**

---

(٨١) صحيح الإمام مسلم الحديث: ١٨٨٧: (٣/١٥٠٢).

(٨٢) صحيح الإمام البخارى ٥/١٢١ وصحيح مسلم الحديث ١٨٩٩: (٣/١٠٥٩).

(٨٣) سورة الحديد الآية: ١٩ وقد روى الامام مالك والشيخان والترمذى من حديث أبى هريرة مرفوعاً [الشهداء خمسة: المطعون، والمبطون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله] على اختلاف درجاتهم.

(٨٤) سورة المطففين الآية: ١٨ - ٢٠.

(٨٥) سورة المطففين الآية: ٧، ٨، ٩ (٨٦) سورة الفجر الآية: ٢٧، ٢٨.

وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة فتنتزع روحه انتزاعاً شديداً ويقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجى ساخطة ومسخوطاً عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الجمرة فإن لها نشيشا ويطوى عليها المسح ويذهب بها إلى سجين» (٨٧)..

وقالت طائفة: أرواح بنى آدم عند أبيهم آدم عن يمينه وشماله وهذا يستدل له بما في الصحيحين عن أنس عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال:

«فرج سقف بيتى وأنا بمكة»..

فذكر الحديث وفيه:

«فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد عن يمينه أسودة وعلى يساره أسودة فإذا نظر قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى فقال: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح. قلت لجبريل: من هذا؟ قال: هذا آدم، وهذه الاسودة عن يمينه وعن شماله نسم بنيه فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التى عن شماله أهل النار فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى» (٨٨)..

وذكر بقية الحديث وهذا لا يتعارض مع قوله تعالى:

«إن الذِينَ كَذّبُوا بآيَاتِنا وَاستَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّح لَهُمْ أبوابُ السّمَاءِ» (٨٩).

ولكن معناه أن آدم عليه السلام فى السماء الدنيا يفتح له بابان في الجنة والنار ينظر منهما إلى أرواح ولده فيهما وقد رأى ﷺ الجنة والنار فى صلاة الكسوف وهو فى الأرض.

---

(٨٧) رواه الإمام مسلم الحديث: ٢٨٧ : (٤/٢٢٠٢).

(٨٨) صحيح البخارى باب كيف فرضت الصلوات فى الاسراء ١/٩٧ وصحيح مسلم باب الاسراء من كتاب «الايمان».

(٨٩) سورة الأعراف الآية: ٤٠.

ويشهد لذلك رؤيته ﷺ لآدم عليه السلام في السماء في رحلة المعراج، وذكر عن ابن عباس(٩٠) أنه سئل أين تكون الأرواح إذا فارقت الأجساد؟ فقال: أين يكون السراج إذا طفئ والبصر إذا عمى ولحم المريض إذا مرض؟(٩١).

---

(٩٠) فى نسبة هذا الكلام لابن عباس نظر.

(٩١) وخلاصة الكلام فى مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة:

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله: والأرواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ أعظم تفاوت، * فمنها أرواح فى عليين فى الملأ الأعلى وهى ارواح الأنبياء. هم متفاوتون في منازلهم كما رآهم ﷺ ليلة الإسراء.

* ومنها الأرواح فى حواصل طير خضر تسرح فى الجنة وهى أرواح بعض الشهداء لأن منها ما تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه.

* ومنهم من تكون روحه محبوسة على باب الجنة.

* ومنهم من تكون روحه محبوسة في قبره كحديث صاحب الشملة التى غلها ثم استشهد فقال عنه ﷺ «والذى نفسى بيده إن الشملة التى غلها لتشتعل عليه ناراً في قبره». * ومنهم من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه الإمام أحمد.

* ومنهم من يكون محبوساً في الأرض لم تعل روحه إلى الملأ الأعلى فالروح بعد المفارقة تلحق بأشكالها وأخواتها.

* ومنها أرواح تكون في تنور الزناة والزوانى وأرواح في نهر الدم تسبح. ثم قال رحمه الله:

وأنت إذا تأملت السنن والآثار في هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت حجة ذلك، وأن النفس وأحكامها لها شأن غير شأن البدن، وأنها مع كونها في الجنة فهى في السماء وتتصل بفناء القبر وبالبدن فيه، وهى أسرع شيء حركة وانتقالا وأنها تنقسم إلى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية، ولها بعد المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم وألم. فهناك الحبس والألم والعذاب والمرض والحسرة، وهناك اللذة والراحة والنعيم. فلهذه النفس أربعة دور كل دار أعظم من التى قبلها:

الدار الأولى: بطن الأم وما فيها من الظلمات الثلاث..

الدار الثانية: بعد الولادة وما فيها من عمل صالح أو غيره.

الدار الثالثة: وهى دار البرزخ إلى يوم القيامة.

الدار الرابعة: هى دار القرار وهى الجنة أو النار بتصرف من كتاب الروح للإمام ابن قيم الجوزية ص ١١٥: ١١٧.

أقوال السلف في ظلمة القبر

قال ابن المبارك وحدثنا صفوان بن عمرو حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا في جنازة على باب دمشق ومعنا أبو أمامة الباهلي فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تغنمون فيه الحسنات والسيئات توشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر وهو هذا -- يشير إلى القبر – بيت الوحشة وبيت الظلمة وبيت الضيق إلا ما وسع الله ثم تنتقلون منه إلى يوم القيامة.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن سلمة بن سعيد قال: كان هشام الدستوائي إذا ذكر الموت يقول: القبر، وظلمة القبر، ووحشة القبر، فلما مر بعض إخوانه إلى جنبات قبره قال: يا أبا بكر والله صرت إلى المحذور.

وقال الحسن بن البراء حدثني عبد الوهاب بن غياث حدثني جمعة جارة لهشام الفردوسي قالت: كان هشام إذا رجع من جنازة لم يتعش تلك الليلة وكان لا ينام إلا في بيت فيه سراج قال فطفى سراجه ذات ليلة فخرج هارباً فقيل له: ما شأنك؟ قال: ذكرت ظلمة القبر.

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده عن وهيب بن الورد قال: نظر ابن مطيع يوماً إلى داره فأعجبه حسنها فبكى ثم قال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرت بالدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته.

وبإسناده عن الفيظ بن إسحاق قال: قال لى الفضيل بن عياض: أرأيت لو كانت لك الدنيا فقيل لك: تدعها ويوسع لك في قبرك ما كنت تفعل؟ قال فقال فضيل أليس تموت وتخرج من أهلك ومالك. تصير إلى القبر وضيقه وحدك ثم قال: (فما له من قوة ولا ناصر) ثم قال: إن كنت لا تعقل هذا فما في الأرض دابة أحمق منك..

وقال فى كتاب «الغزالة»: حدثنا حسن بن عبد الرحمن عن رجل قال:

دخلت على رجل بالمصيصة في بيته فيه فرشه وقماشه فقلت: أما يضيق صدرك من هذا فبكى وقال: إذا ذكرت القبر وظلمته وضيقه اتسع هذا عندى ولهيت عن غيره. وقال أبو الحسن بن البراء أنشدنا إسماعيل بن إدريس السمار لأبى العتاهية يبكى على نفسه فى مرثية:

لَأبكِينّ عَلَى نَفْسى وَحَقّ لِيَهْ ∴ يَا عَيْنُ لَا تبخَلى عَنِّى بِعَبْرَتَيْه
لَأبكِينّ لِفُقدَانِ الشبَابِ فَقَد ∴ جَدّ الرحِيلُ عن الدنْيَا بِرِحْلَتَيْه
يَانَأى مُنتجعى يَا هَوْلَ مطْلَعِى ∴ يَا ضِيقَ مُضْطَجعى يَا بُعْدَ شُقّتَيْه
المالُ مَا كَانَ قُدَّاسى لآخِرَتي ∴ مَالَا أُقدِّمُ مِنْ مَالِى فَلَيْسَ لِيَه

زيارة الموتى والاتعاظ بهم

عن بريدة عن النبى ﷺ قال:

«كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها [فإنها تذكركم الآخرة]»(٩٢).

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:

«استأذنت ربى أن أزور قبر أمى فأذن لى فزوروها فإنها تذكر الموت»(٩٣)..

وعن ميمون بن مهران قال: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقابر فلما نظر إلى القبور بكى ثم قال: يا أيوب هذه قبور آبائى بنى أمية، كأنهم لم يشركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشتهم، أما تراهم صرعى فدخلت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلاء، وأصابت الهوام في أبدانهم مقيلا، ثم بكى حتى غشى عليه ثم أفاق فقال: فانطلق بنا فوالله ما أعلم أحد أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد آمن من عذاب الله عز وجل. وعن ثابت البنانى أنه دخل المقابر فبكى فقال: بليت أجسامهم وبقيت أخبارهم فالعهد قريب، واللقاء بعيد.

---

(٩٢) رواه الإمام مسلم الحديث ٩٧٧ [٢/٦٧٢] وقال الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام ٢/٢٠٦ أن الزيادة عند الترمذى ورواه النسائى ٣/٧٣ بلفظ مسلم وزاد [ولا تقولوا هجراً].

(٩٣) رواه الإمام مسلم الحديث ٩٧٦: (٦/٦٧١) والإمام النسائى (٤/٧٤).

وعن بعض الأعراب أنه وقف على قبر وأنشد فى المعنى:

لِكُلِّ أُناسٍ مقبرٌ بفنائِهِم ∴ فهُمْ ينقصُون والقُبور تَزِيدُ
وَمَا إنْ تَرَى دَاراً لِحَيٍّ قَدْ أقْفرتْ ∴ وَقَبرٌ لميتهِ بالفناءِ جدِيدُ
فهُمْ جِيرَةُ الأحْيَاءِ أما مَحلّهُمْ ∴ فدَانٍ وأما الملتقى فَبعِيدُ

ومما يروى عن يحيى عن عبد الله بن جعفر بن سليمان أمير البصرة فمر به رجل كان يعظ الناس فقال له عبد الله: عظنى ببيت من الشعر فقال:

إنْ ثَوَى فى القُبُور ذُو خَطَره ∴ فَذَرْهُ فِيهَا وَلَا تَنظُرْ إلى خَطَرِه

فبكى عبد الله بن جعفر وكان ابن السماك يتمثل بهذا البيت ويزيد فيه:

أبْرَزَهُ المَوْتُ من مَسَاكِنِه ∴ وَمِنْ مَقَاصِيرِه وَمِنْ حُجَرِه

قال ابن أبى الدنيا: حدثنا إسماعيل بن عبد الله العجلى قال: أنشدنا رجل ونحن بالمقابر:

ألَا يَا عَسْكَرَ الأَحْيَاءِ ∴ هَذا عَسْكَرُ المَوْتَى
أجَابُوا الدعْوَةَ الصُّغْرَى ∴ وَهُمْ يَنتَظِرُون الكُبْرَى
يحثُونَ عَلَى الزَّادِ ∴ وَمَا زَادٌ سِوَى التقْوَى
يَقُولُونَ لَكُمْ جِدُّوا ∴ فَهَذَا آخِرُ الدنْيَا(٩٤)

وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن سلام بن صالح قال: فقد الحسن ذات يوم فلما أمسى قال له أصحابه: أين كنت؟ قال: كنت اليوم عند إخوان لى إن نسيت ذكرونى، وإن غبت عنهم لم يغتابونى، فقال له أصحابه: نعم الإخوان والله هؤلاء يا أبا سعيد دلنا عليهم قال: هؤلاء أهل القبور. وقيل لأحدهم: ما أعجب إلى منزلك قلت: وما يعجبك من منزلى وهو عند القبور؟ قال: وما عليك يكفون الأذى، ويذكرون الآخرة.

---

(٩٤) نفس الأبيات فى كتاب «روضة العقلاء» ص ٢٨٧ من طريق ابن أبى الدنيا والذى فيه وهم منتظرون الكبرى.

وعن الفضل الرقاش أنه كان إذا ذكر زهد فى الدنيا يقول: مررت بالمقابر فوقفت فناديت: يا أهل الشرف والغَناء والتباهى، يا أهل اللباس والنجدة والأمن والزجول ويا أهل المسئلة والحاجة والفاقة ويا أهل النسك والإخبات والإنابة والاجتهاد فما ردت على فرقة منهم، ولعمرى إن لم يكونوا أجابوا جواباً لقد أجابوا اعتباراً.

وعن عاصم الحيطى قال: كنت أمشى مع محمد بن واسع، فأتينا المقابر، فدمعت عيناه، ثم قال: يا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمورهم، فكأنهم وقد وثبوا من هذه الأجداث، فمن بين مسرور ومسموم.

وعن عطاء السلمى أنه كان إذا جن عليه الليل خرج، فوقف على القبور، ثم قال: يا أهل القبور متم فواموتاه ثم بكى ثم قال: يا أهل القبور عاينتم ما علمتم فواعملاه ثم بكى، فلا يزال كذلك حتى يصبح.

وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن محمد بن صالح التمار قال: كان صفوان بن سليم يأتى البقيع فى الأيام، فمر بى فاتبعته ذات يوم وقلت: والله لأنظرن ما يصنع قال: والله فرفع رأسه وجلس إلى قبر منها فلم يزل يبكى حتى رحمته قال: ظننت أنه قبر بعض أهله، قال: فمر بى فأتبعته فقعد إلى جانب قبر غيره فقال مثل ذلك، قال: فذكرت ذلك لمحمد بن المنكدر وقلت: إنى ظننته أنه قبر بعض أهله، وقال محمد: كلهم أهله وإخوان إنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة، ثم جعل محمد بن المنكدر يمر بى فيأتى البقيع فسلمت عليه ذات يوم، فقال: ما يقنعك موعظة صفوان؟ قال: فظننت أنه انتفع بما ألقيت إليه منها.

قال ابن أبى الدنيا ثنا محمد بن الحسين قال: قال أبو إسحق: شهدت جنازة رجل من إخوانى منذ خمسين سنة فلما دفن وسوى عليه التراب وتفرق الناس جلست إلى بعض تلك القبور ففكرت فيما كانوا فيه من الدنيا وانقطاع ذلك كله عنهم فأنشدت أقول:

سَلَامٌ عَلَي أهْلِ القُبُورِ الدارِوس .·. كأنهُمْ لَمْ يَجْلِسُوا فى المجَالِس
وَلَمْ يَشْرَبُوا مِنْ بَارِدِ المَاءِ شَرْبَةً .·. وَلَمْ يأكلوا مِنْ بينِ رَطْبٍ وَيَابس
ألَا خَبِّروني: أيْنَ قَبْرُ ذَليلكُمْ .·. وَقَبْرُ العَزِيزِ البَاذِخِ المتَمَارِس

وغلبتنى عيناى فقمت وأنا محزون.

قال ابن أبى الدنيا وأنشد الرياشي رحمه الله تعالى أبياتاً خمسة فقال:

تَهِيجُ مَنَازِلُ الأمْوَاتِ وَجْداً .·. وَيحدُثُ عَنْ رُؤيتِهَا اكتِئَابُ
مَنَازِلُ لَا تُجيبُكَ حِينَ تَدْعُو .·. وَعَزّ عَلَيْكَ أنَّكَ لَا تُجَابُ
وَكَيفَ يُجِيبُ مَنْ تَدْعُوه مَيْتاً .·. تَضمنت الجَنَادِلُ(٩٥)وَالتـرَاب
مُقِيمٌ إلى أنْ يبعثَ الله خَلْقَه .·. لِقَاؤكَ لَا يُرْجَى وَأنْتَ قَرِيبُ
تَزِيدُ بِلَىً فى كُلِّ يَوْم وَلَيْلَةٍ .·. وَتَنْسى كَمَا تَبْلَى وَأنْتَ حَبِيبُ

وخرج ابن ماجه والترمذي من حديث هانىء مولى عثمان قال: كان عثمان إذا وقف على قبر يبكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار ولا تبكى وتبكى من هذا قال: إن رسول الله ﷺ قال:

«إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه فما بعده أيسر منه وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»..

قال وقال رسول الله ﷺ:

«ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه»(٩٦)..

ومما قيل: يا أخى علمت أن الأجساد فى القبور تبلى وأن الأعمال فى الآخرة تحيا قلت: يبلون حتى لا يبقى منهم شيء ثم يجيئون يوم القيامة، أى والله يا أخى يبلون حتى يصيرون رفاتاً ثم يحيون عند الصيحة كأسرع من اللهم وأنشد بعضهم:

---

(٩٥) فى الحاشية: جمع جندل.. بفتح الجيم والنون وكسر الدال.. مكان فيه حجر أو مكان فيه حجر مدور.

(٩٦) سنن ابن ماجة ٤٢٦٧: (٢/٤٢٦) وتحفة الأحوذى: ٦/٥٩٥ وقال الترمذى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هشام بن يوسف وروى الحديث الحاكم فى المستدرك (٤/٣٣٠، ٣٣١) وصحح اسناده هو والذهبى.

مَا حَالُ مَنْ سَكَنَ الثرَى مَا حَالُه .·. أمْسَى وَقَدْ رَثّتْ هُنَاك حِبَالُه
أمسَى وَلَا رُوحُ الحَيَاة تُصِيبُه .·. أبَداً وَلَا لَطْفُ الحَبِيبِ يَنَالُه
أمسى وَقَدْ دَرَسَتْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ .·. وَتَفَرَّقَتْ فِى قَبْرِه أوْصَالُه
وَاسْتَدَلّتْ مِنْهُ المجَالِسُ عِبْرَةً .·. وَتُقسِّمَتْ من بَعْدِه أمْوَالُه
مَازَالَتْ الأيَّامُ تَلعَبُ بالغِنَى .·. وَالمَال يَذهَبُ صَفْوُهُ وَحَلَالُه

وروى البراء بإسناده عن الفضيل بن عياض قال: رأيت رجلا يبكى، قلت: وما يبكيك؟ قال: أبكانى كلامه، قلت: ما هو؟ قال: كنا وقوفاً فى المقابر فأنشدوا:

أتيتُ القُبُورَ فَسَألتُهَا .·. أيـنَ المعظّمُ وَ المحْتَقَرْ
وَأيـنَ المذلُّ بسُلْطَانِـهِ .·. وَأيْنَ القَوِىُّ إذْ مَا قَدَرْ
فَفَنْوا جَمِيعاً فَمَا مُخْبِرٌ .·. وَمَاتُوا جَمِيعاً وَمَاتَ الخَبَرْ
فِيَاسَائِلِى عَنْ أنَاسٍ مَضَوْا .·. أمَا لَكَ فِيمَا تَرَى مُعْتَبَرْ
تَرُوحَ وَتَغْدُو وَأبْلَاكَ الثّرَى .·. فَتَمْحُو مَحَاسِنَ تِلْكَ الصُّوَرْ

وروى ابن البراء أيضاً بإسناده أن قبراً أصيبت عليه هذه الأبيات مكتوبة:

المْوْتُ أخْرَجنى مِنْ دَار مَمْلَكَتِى .·. فَالترابُ مَضْجَعِى مِنْ بَعْدِ تَرَفِى
لله عَبْدٌ رَأى قَبْرِى فَأعبرهُ .·. وَخَافَ مِنْ دَهْرِه رَيْبَ التصَارِيفِى
أستغفرُ اللهَ من جُرْمِى وَمِنْ حَنَقِى .·. وَأسْألُ اللهَ فَوْزِى يَوْمَ تَوْفِيقِى
هَكَذَا مَصِيرُ بَنِى الدنْيَا وَإنْ نَعِمُوا فِيهَا .·. وَغَرّهُـمْ طُولُ التَسَاوِيفِـى

وروى ابن أبى الدنيا بإسناد له أنه قرأ على قبر بشيراز:

ذَهبَ الأحبةُ بَعْدَ طُولِ تَودد .·. وَنَأى المزَارُ فَأسْلَمُوكَ واتشعوا
خَذَلُوكَ أفْقَرَ مَا تَكُونَ بغُرْبَةٍ .·. لَمْ يُؤنِسُوكَ وَكَرْبَكَ لَمْ يَدْفَعُوا
قُضِى القَضَاءُ وَصُيرتَ صَاحِبَ حُفْرَة .·. عِنْدَ الأحبـةِ عرضوا وَتَصَدَّعُـوا

وبإسناد له قال قرىء على قبر بمقابر البصرة مكتوب:

يَاغَافِلَ القلبِ عندَ ذِكْرِ المنيَّات .·. عَمّا قَلِيلٍ سَتَثْوَى بين أمْوَاتِ
فَاذْكُرْ محلك قَبْلَ الحُلُولِ بِهِ .·. وَتُبْ إلى اللهِ مِنْ لَهْوٍ وَمَلَذّاتِ
إن الحُمَامَ لَهُ وَقْتٌ إلى أحدٍ .·. فَاذْكُرْ مَصَائِبَ أيامٍ وَساعَاتٍ
لَا تَطْمئنّ إلى الدُّنْيَا وَزينتهَا .·. قَدْ حَانَ لِلمَوْتِ يَاذَا اللبِّ أنْ يَأتِى

ومما قرىء مكتوباً أيضاً:

سَتُعرِض عن ذِكْرى وَتُنْسَى مَوَدّتِي .·. وَيحْدُثُ بعدِى لِلْخَلِيلِ خليل

وأيضاً :

إذَا مَا نَقصَتْ يوماً من العيشِ مدَّتِى .·. فَإن غنـاءَ البَاكِيـاتِ قَلِيـلُ

وأيضاً :

مَا صَحِبَ الإنسَانَ في قَبْرِهِ .·. مِثْل التقَى وَالعَمَـل الصَّالِح

وايضاً :

أنَا فِي القبرِ وَحِيدٌ قَدْ تَبرأ الأهْلُ منى .·. أسْلَمُونى لذنوبى، خِفْتُ إنْ لَمْ يَعْفُ عَنى

وقرأ أيضاً :

لَقَـدْ وَقَـفْتَ كَمَـا وَقَـفْتُ .·. وَقَـدْ نَظَـرْتَ فَمَـا اعتَبَـرْتَ

حَصِّلْ لنـفسِكَ مَنـزِلًا .·. قَبْـلَ الـحُصُولِ كَمَـا حُصِّلْتَ

استحباب تذكر القبور والتفكير فى أحوالهم وذكر أحوال السلف في ذلك

عن ابن مسعود عن النبى ﷺ قال (٩٧) :

« استحيوا من الله حق الحياء ، قالوا : انا نستحى والحمد لله ، قال : ليس ذلك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى ، وأن تحفظ البطن وما حوى ، ولتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا ، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء » ..

وخرج الترمذى من حديث ابن عمر قال :

أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى وقال :

---

(٩٧) مسند الإمام أحمد ١ /٢٧٣ ، تحفة الأحوذى ٧ /١٥٤ الحديث ٢٥٧٥ قال الترمذى : غريب إنما نعرفه من هذا الوجه وزاد الشارح نسبته للبيهقى . ورواه الحاكم في المستدرك ٤ /٣٢٣ وصحح إسناده الذهبى ..

«كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل»(٩٨)..

من مواعظ عمر بن عبد العزيز:

وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن أبى سريج الشامى قال: قال عمر بن عبد العزيز لرجل من جلسائه: يا فلان قد أرقت الليل متفكراً، قال: فيم يا أمير المؤمنين؟ قال: فى القبر وساكنه، لو رأيت الميت بعد ثالثة فى القبر لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك بناحيته، ولرأيت بيتاً تجول فيه الهوام، ويجرى فيه الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الرائحة وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الرائحة ونقاء الثوب قال: ثم شهق خر مغشياً.

وروى أبو نعيم الحافظ بإسناده أن عمر بن عبد العزيز شيع مرة جنازة من أهله، ثم أقبل على أصحابه ووعظهم، فذكر الدنيا فذمها، وذكر أهلها، وتنعمهم فيها، وما صاروا إليه بعدها من القبور، فكان من كلامه أنه قال:

إذا مررت بهم فنادهم إن كنت مناديا، وادعهم ان كنت داعياً، ومر بعسكرهم وانظر إلى تقارب منازلهم، سل غنيهم: ما بقى من غناه، وسل فقيرهم. ما بقى من فقره، واسألهم عن الألسن التى كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التى كانوا للذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الدقيقة والوجوه الحسنة والأجساد الناعمة ما صنع بها الديدان تحت الأكفان، وأكلت اللحمان وعفرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفقارة، وبانت الأعضاء،

---

(٩٨) رواه الامام البخارى ٨/ ١١٠ وفى فتح البارى الحديث برقم ٦٤١٦.
ونقل الحافظ ابن حجر فى فتح البارى شرح العلماء لهذا الحديث الجليل فقال:..... قال الطيبى شبه الناسك السالك بالغريب الذي ليس له مسكن يأويه ولا مسكن يسكنه، ثم ترقى وأضرب عنه فى (عابر سبيل) لأن الغريب قد يسكن فى بلد الغربة، بخلاف عابر السبيل القاصد لبلد شاسع وبينها أودية ومفاوز مهلكة وقطاع طرق فالمغادر من شأنه ألا يقيم لحظة ولا يسكن لمحة، ومن ثم عقبه بقوله (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح) إلى آخره.
وقال النووى: معنى الحديث لا تركن إلى الدنيا ولا تتخذها وطناً ولا تحدث نفسك بالبقاء فيها، ولا تتعلق منها بما لا يتعلق به الغريب فى غير وطنه أ. هـ.

ومزقت الأشلاء، وأين حجابهم، وقبابهم؟ وأين خدمهم وعبيدهم وكنوزهم وكأنهم ما وطئوا فراشاً، ولا وضعوا هنا متكئاً، ولا غرسوا شجراً ولا أنزلوهم من اللحد قراراً، أليسوا فى منازل الخلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليسوا في مدلهمة ظلماء؟ قد حيل بينهم وبيّن العمل، وفارقوا الأحبة، وكم من ناعم وناعمة أضحوا ووجوههم بالية، وأجسادهم من أعناقهم بائنة، أوصالهم ممزقة، وقد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دماً وصديداً، ودبت دواب الأرض فى أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً، فقد فارقوا الحدائق وصاروا بعد السعة إلى المضائق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت فى الطرق أبناؤهم، وتوزعت القربات ديارهم وقراهم فمنهم والله الموسع له فى قبره الغض الناظر فيه المنعم بلذته؟ يا ساكن القبر غداً ما الذى غرك فى الدنيا. أين دارك الفيحاء ونهرك المطرد؟ وأين ثمارك الينعة؟ وأين رقاق ثيابك وأين طيبك ونحورك، وأين كسوتك لصيفك ولشتائك، أما رأيته قد زل به الأمر، فما يدفع عن نفسه دخلا وهو يرشح عرقاً، ويتلمظ عطشاً، يتقلب فى سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، هيهات: يا مغمض الوالد والأخ والولد، وغاسله، يا مكفن الميت ويا مدخله فى القبر، وراجعاً عنه، ليت شعرى بأى خديك بدأ البلى، يا مجاور الهلكات صرت فى محلة الموت: ليت شعرى ما الذى يلقانى به ملك الموت عند خروجى من الدنيا وما يأتينى به من رسالة ربى.

ثم انصرف فما عاش بعد ذلك إلا جمعة.

وقد روى عنه من وجوه متعددة أنه قال فى آخر خطبة خطبها «ألا ترون أنكم فى أسلاب الهالكين، ثم يرثها بعدكم الباقون كذلك حتى يرد إلى خير الوارثين، وفى كل يوم تشيعون غادياً ورائحاً قد قضى نحبه فتودعونه، وتدعونه فى صدع من الأرض غير ممهد ولا موسد، قد فارقه الأحباب وخلع الأسباب وسكن التراب، وواجه الحساب، غنياً عما خلف، فقيراً إلى ما قدم».

وكان ينشد هذه الأبيات:

مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشمْسُ جبهتَهُ .·. أو الغُبَارُ يَخافُ الشينَ وَالشعْثَا
وَيَأْلَفُ الظِّلَ كَىْ تَبْقَى بَشاشَتُه .·. فَكيفَ يسكُن يَوْماً رَاغِماً جَدْثاً
فى ظِلِّ مُقْفرةٍ غَبْرَاءَ مُظْلِمَةٍ .·. يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرا فى غَمِّهِ اللبْثَا
تَجهَّزِى بِجَهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ .·. يَانَفْسُ قَبْلَ الردَى لَمْ تُخْلَق عَبَثَا

فرحم الله عمر بن عبد العزيز وغفر الله له.

قال النضر بن المنذر لإخوانه: زوروا الآخرة بقلوبكم، وشاهدوا الموقف بتوهمكم، وتوسدوا القبور بقلوبكم، واعلموا أن ذلك كائن لا محالة فاختار لنفسه امرؤ ما أحب من المنافع والضرر.

وعن عبد الله بن المبارك: مر برجل راهب عند مقبرة ومزبلة، فناداه فقال: يا راهب إن عندك كنزين من كنوز الدنيا لك فيهما معتبر:

كنز الأموال وكنز الرجال.

ومما يروى لابن المبارك:

إن الذى دَفَـنَ الأَبَاعِـدَ .·. وَالأَقْرَبِينَ صَاغِراً فَصَاعِـداً
عَسَاكَ يَوْمَاً تَذْكُرُ المَلاحِدَا .·. يَامَنْ يَرْمِى أنْ يَكُونَ خَالِداً
شربت فاعلمه حَدِيداً بارداً .·. لَابُدَّ تَلْقَى طَيِّباً وَزَائِـدَاً

قال ابن أبى الدنيا: أنشدنى الحسين بن عبد الرحمن:

لِيبْكِ لأَهْوَالِ القِيَامَةِ مَنْ بَكَى .·. وَلَا تَنْسَيَنَّ القَبْرَ يَوْماً وَلَا البِلَى
كَفَى حُزْناً يَوْماً تَرَى فِيهِ مكرماً .·. كَرَامتُه أنْ يرتدوا جِسْمُهُ الثَّرَى

ذكر كلمات منتخبة من كلام السلف

فى الاتعاظ بالقبور، وما ورد عنهم من ذلك من منظوم ومنثور.

قال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثيْر: كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى خطبته: أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، الذين كانوا لا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب، أين الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان قد تضعضع بهم، وصاروا فى ظلمات القبور الوحا الوحا النجا النجا.

وروى ابن أبي الدنيا عن الحسن أنه مر بشاب، وعليه بردة له حسنة فقال: ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله كأن القبر قد وارى بدنك وكأنك لاقيت عملك، ويحك دَاوِ قلبك، فإن حاجة الله إلى عباده صلاح قلوبهم.

وعن عبد الله بن العيزار قال: لابن آدم بيتان: بيت على ظهر الأرض، وبيت في باطن الأرض فعمل للذى على ظهر الأرض فزخرفه وزينه وجعل فيه أبواباً للشمال، وأبواباً للجنوب، وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه، ثم عهد إلى الذى فى بطن أرض فأخربه، فأتى عليه آت فقال: أرأيت هذا الذي أراك قد أصلحته، كم تقيم فيه؟، قال: لا أدرى. قال: فالذى قد أخربته، كم تقيم فيه؟ قال: فيه مقامى، قال: تقر بهذا على نفسك وأنت رجل يعقل؟!.

وعن الحسن قال: يومان وليلتان م تسمع الخلائق بمثلهن قط:

يوم تبيت مع أهل القبور ولم تبت ليلة قبلها، وليلة صبحتها يوم القيامة ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إما بالجنة أو النار، ويوم تعطى كتابك بيمينك وإما بشمالك. وعنه أيضا قال: أوذنوا بالرحيل، وجلس أولهم على آخرهم وهم يلعبون، وشهد يوماً جنازة فاجتمع عليه الناس، فقال: اعملوا لمثل هذا اليوم - رحمكم الله - فإنما هم إخوانكم يقدمونكم، وأنتم بالأثر، أيها المخلف بعد أخيه إنك الميت غداً، والباق بعدك، والميت فى أثرك أولًا بأول حتى توافوا جميعاً قد عمكم الموت واستويتم جميعاً فى كربه وعصبه، ثم تخليتم إلى القبور، ثم تنشرون جميعاً، ثم تعرضون على ربكم عز وجل.

وعن عمر بن أبى ذر أنه كان يقول فى مواعظه: لو علم أهل العافية ما تضمنته القبور من الأجساد البالية لجروا واجتهدوا في أيامهم الخالية خوفاً من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار.

وعن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: القبر منزل بين الدنيا والآخرة فمن نزله بزاد وارتحل به إلى الآخرة، إن خيراً فخير وان شراً فشر.

وكان أبو عمران الجونى يقول: لا يغرنكم من ربكم طول النسية، وحسن الطلب، فإن أخذه أليم شديد حتى تبقي وجوه أولياء الله بين أطباق التراب إنما هم محبوسون لبقية آجالهم حتى يبعثهم الله إلى جنته وثوابه.

وقال مسروق: ما من بيت خير للمؤمن من لحده قد استراح من أمر الدنيا أو من عذاب الله.

وعن عقبة البزار قال: رأى أعرابى جنازة فأقبل يقول: هنيئاً يا صاحبها فقلت: علام تهنئه؟! قال: كيف لا أهنىء من يذهب به إلى حبس جواد كريم نزله عظيم، عفوه جسيم، قال: كأنى لم أسمع القول إلا تلك الساعة.

ومما يروى عن أبى العتاهية:

يَا حِسَانَ الوجُوه سَوْفَ تَمُوتُون ∴ وَتَبْلَى الوجُوهُ تَحْتَ التُّرَاب

فأقبل على بن جبلة فقال:

أكتب يَا مربي شَبَابَهُ لِلتُّراب ∴ سَوْفَ يأكلُ البِلَى بعض الثيَابِ
يَا ذَوِى الوجُوهِ الحِسَانِ المصُونَاتِ ∴ وَأجْسَامِهَا الغِضَاضِ الرطَانِ
أكثِرُوا مِنْ نعيمهَا أو أقِلُّوا ∴ سَوْفَ تهدُونهَا لعفر التُّرَابِ
قَدْ نعتْكَ الأيامُ نَعْياً صَحِيحاً ∴ تُفَارِق الإخْوَانَ وَالأصْحَابْ

فقال أبو العتاهية: قل يا حامد، قلت: معك ومع أبى الحسن، قال: نعم قلت:

يَامُقِيمِينَ رَحَلُوا للذهَابِ ∴ لِشَفِير القُبُورِ وَحطُّوا الرِّكَابْ
نعمُوا الأوجُهَ الحِسَانَ ∴ فَمَا صونكموها إلا بِعَفر التراَبْ
وَالبَسُوا نَاعِمَ الثيَاب ∴ فَفِي الحُفَرِ تُعرونَ مِنْ جَمِيعِ الثيَابِ
قَدْ تَرَوْنَ الشبَابَ كَيْفَ يَمُوتُون ∴ إذَا اسْتُنفِرُوا بِمَاءِ الشَّبَاب

ومما قاله ابن السماك:

تَمُرُّ أقَارِبى جَنبَاتِ قَبْرِى ∴ كَأنّ أقَارِبى لَا يَعْرِفُونِى
وَذَوُو الأمْوَالِ يَقْتَسِمُونَ مَالِى ∴ وَلَا يَألُونَ أنْ جَحَدُوا دُيُونِى
قَدْ أخَذُوا سِهَامَهُمْ وَعَاشُوا ∴ فَبِالله مَا أسْرَعَ مَا نَسُونِى

قال وأنشدنى أبو جعفر القرشى:

تُنَاجِيكَ أجْدَاثٌ وَهُنَّ سُكُوتٌ ∴ وَسَاكِنُهَا تَحْتَ التُّرَابِ خُفُوتُ
يَاجَامِعَ الدنْيَا لِغَيْرِ بَلَاغِه ∴ لمن تَجْمَعُ الدنْيَا وَأنْتَ تَمُوتُ

ولما انصرف الناس من جنازة داوود الطائى رحمه الله أنشد ابن السماك رحمه الله :

انصرفَ النَّاسُ إلى دُورهِمْ ∴ وَغُودِرَ الميْتُ فى رِمِّهِ
مرْتَهَنُ النفْسِ بأعْمَالِه ∴ لَايُرتَجى الاطْلَاقُ مِنْ حَبْسِهِ
لنفْسِهِ صَالِحُ أعمَالِهِ ∴ وَمَا سِوَاهَا فعَلَى نَفْسهْ
قِفْ بالمقَابِرِ وَانْظُرْ إنْ وَقَفْتَ بِهَا ∴ لله دَرُّكَ مَاذَا تَسْتُرُ الحُفَرْ
فَفِيهِمْ لَكَ يَامَغْرُورُ مَوْعِظَةٌ ∴ وَفِيهِم لَكَ يَا مُغْتر مُعْتَبَرْ

وقال بعضهم :

كَمْ ببطنِ الأرْضِ ثَاوٍ من وَزِير وَأمِيرِ ∴ وَصغيرِ الشأنِ وعبدٍ خَامِدِ الذكر حقِيرِ
شَمِلَتْ قُبُورَ القَوْمِ في يَوْمٍ قصيرِ ∴ وَلم تَعْرِفْ غنياً مِنْ فقِيرِ

وقال بعضهم :

تقدمين تزود قريباً مِنْ فِعَالِكَ ∴ إنمَا قَرِينُ الغِني في القَبْرِ مَا كَانَ يَفْعَلُ
إنْ كُنْتَ مَشْغُولًا بشيءٍ فَلَا يَكُنْ ∴ بغَيْرِ الذِى يُرْضِى الله تشتغل
مَا صَاحِبُ الإنسَانِ مَنْ بَعْدِ مَوْتِهِ ∴ إلى قَبْرِه إلا الذِى كَانَ يَعْمَلُ
انمَا الإنْسَانُ ضَعِيفٌ لأهْلِهِ ∴ يُقِيمُ قَلِيلًا عِنْدَهُمْ ثُم يَرْحَلُ

* * * * * *
* * * * *
* * * *
* * *
* *
*

تم تهذيب الكتاب بحمد الله وحسن توفيقه في غرة رجب الخير ١٤٠٦ هـ على يد العبد الفقير إلى عفو الله ومغفرته أبي حذيفة إبراهيم بن محمد والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وصلى الله وسلم على أشرف خلقه محمد ﷺ وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

تم الكتاب وربنا محمود ∴ وله المكارم والعلا والجود
وعلى النبى محمد صلواته ∴ ما ناح قمرى وأورق عود

* * * * * *
* * * * *
* * * *
* * *
* *
*

المراجع

بلوغ المرام – (بشرحه سبل السلام) طبعة دار الشعب.

التاريخ الصغير – للإمام البخارى – ط دار الوعى – حلب.

تحفة الأحوذى – شرح سنن الترمذى ط السلفية بالمدينة المنورة.

التذكرة – للعلامة القرطبى – ط الكليات الأزهرية.

تلخيص التحبير – طبعة الكليات الأزهرية.

روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – للإمام ابن حبان طبعة السنة المحمدية.

سنن أبى داوود – طبعة التازية بتقديم البنا الساعاتى.

سنن ابن ماجه – طبعة عيسى الحلبى بترتيب محمد فؤاد عبد الباقى.

سنن الترمذى – طبعة السلفية بالمدينة المنورة.

سنن الدارقطنى – طبعة عبد الله هاشم يمانى المدنى.

سنن النسائى – بحاشية السيوطى – طبعة الحلبى.

صحيح البخارى – طبعة دار الشعب.

صحيح مسلم – طبعة عيسى الحلبى بترتيب محمد فؤاد عبد الباقى.

فتح البارى – طبعة المكتبة السلفية وطبعة الكليات الأزهرية.

كشف الاستار عن زوائد البزار – طبعة بيروت.

الكنز الثمين – للغمارى – طبعة السعادة.

مجمع الزوائد – طبعة القدسى.

المجروحين لابن حبان – طبعة دار الوعى – حلب.

المستدرك – للحاكم وتلخيصه للحافظ الذهبى.

المسند للإمام أحمد – طبعة الحلبى.
موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان – طبعة السلفية.
الموطأ – للإمام مالك – طبعة عيسى الحلبى بترتيب محمد فؤاد عبد الباقى.
ميزان الاعتدال – للإمام الذهبى – طبعة عيسى الحلبى.
أهوال القيامة – الشيخ عبد الله بن الكليب – طبعة دار الكتب السلفية القاهرة.

فهـــرسُ الكْـتابْ

رقم الأيداع: ١٩٨٦/٢١٢٤

